جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

غزوة بدر
فى البيان القرآنى

دكتور/ رضا محمود نصار
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالشرقية

مستلة من
حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
العدد التاسع والعشرون، لعام ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م
والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠١٠/٦١٥٧

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-عمارات الزراعيين-شبين الكوم ت ٠٤٨٢٢٢٢٠٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. وأزكى الصلاة وأتم التسليم على الهادى البشير والسراج المنير سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين.

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين..

وبعد... فإن القرآن المجيد قد أنزله الله تعالى على نبيه-ﷺ- هدى ونوراً **﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾**(١).

فهو منهج حياة للناس جميعاً فى شتى مناحى حياتهم.. ومن أسمى مقاصده إصلاح القلوب وتهذيب النفوس واستقامة السلوك.. حتى يصبح المسلم وكأنه قرآن يمشى بين الناس، متخلقاً بأخلاقه، متأدباً بآدابه، فاهما لمقاصده مدركاً لأحكامه، متدبراً له استجابة لقول الله تعالى **﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾**(٢).

ومن منطلق التدبر لآيات الله تعالى عشت مع الآيات الكريمة التى تحدثت عن غزوة بدر، ولم أعمد إلى السرد التاريخى، وإنما كان الاعتماد على القرآن والسنة، من خلال ما ذكره المفسرون فى بيانهم للآيات الكريمة التى عرضت لأحداث هذه الغزوة، وما ورد فى السنة المطهرة.

أسأل الله تعالى أن أكون وفقت فيما قصدت، وأن يلهمنا الرشد فى الأمر كله وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد.

---

(١) الآية ١٥ سورة المائدة.

(٢) الآية ٢٩ سورة ص.

تمهيد:

يعد القرآن المجيد أول مصدر لسيرة رسول الله–ﷺ– وليس فيه آية إلا وهى تشير إلى دور أو موقف من أدوار ومواقف النبى–ﷺ– فيما بلغه عن ربه من وعد ووعيد، وأمر ونهى وتعليم وتشريع، وأمثال وقصص، وجهاد وجدال وحجاج.

ومن ثم فإن القرآن العظيم هو المعول عليه فى المقام الأول لبيان حياة النبى الكريم فى شتى مراحلها.. فى العهدين المكى والمدنى.

ولقد حدثنا القرآن المجيد حديثاً مستفيضاً عن غزوة بدر، تناول كل ما يتعلق بها.. وحفظ القرآن العظيم حفظ لسيرة سيدنا محمد–ﷺ– ومن هنا!! لم تحفظ سيرة نبى من الأنبياء كما حفظت سيرة رسول الله–ﷺ–.

قال على بن الحسين: كنا نعلم مغازى النبى–ﷺ– كما نعلم السورة من القرآن وقال محمد بن سعد بن أبى وقاص–رضي الله عنه– كان أبى يعلمنا المغازى والسرايا ويقول: يا بَنِىَ هذه شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها.

وكان سبب هذه الغزوة التى وقعت فى اليوم السابع عشر من شهر رمضان المبارك فى السنة الثانية للهجرة "علم الرسول–ﷺ– أن عيراً لقريش قادمة من الشام فقال: هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها[1].

وعن أنس بن مالك أنه قال: بعث رسول الله–ﷺ– عيناً ينظر ما صنعت عير أبى سفيان، فجاء وما فى البيت أحد غيرى، وغير رسول الله–ﷺ– قال: لا أدرى ما استثنى بعض نسائه، قال: فخرج رسول الله–ﷺ– فقال: إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا، فجعل رجال يستأذنون فى ظهرانيهم فى علو المدينة فقال: لا من كان ظهره حاضراً[2].

وأسباب الغزوة يمكن إيجازها فيمايلى:

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٣٨١/٢ ط دار المعرفة.

(٢) رواه مسلم كتاب الإمارة ١٥٠٩/٣.

١-أهم هذه الأسباب وأولها استيلاء قريش على أموال المسلمين وديارهم فى مكة وقتل بعضهم وإلحاق الضرر والأذى بالبعض الآخر فمنذ سطعت شمس الدعوة وبدأ الرسول-ﷺ- فى تبليغ ما أمره الله به، وقريش لم تترك سبيلاً للعنت والأذى إلا سلكته.

٢-المكان المتميز للنبى-ﷺ- وأصحابه، فالمكان تمر عليه قوافل قريش فى ذهابهم إلى الشام، وفى ذلك خطر عليهم يهددهم فى تجارتهم.

٣-موقف الأنصار الفريد الذين آووا المهاجرين إليهم- رسول الله-ﷺ- وأصحابه، وبذلوا الأنفس والأموال دفاعاً عنهم.

٤-أن دعوة الحق التى صدع بها رسول الله-ﷺ- وجدت المناوئين لها والمحرضين عليها من قريش حتى بعد الهجرة..

ومن هنا كان لا مناص من عودة الحق إلى نصابه والإذعان له.. وأن يأخذ المسلمون ما سلب منهم قبل هجرتهم.

يذكر ابن سعد فى الطبقات وابن هشام فى السيرة: خرج رسول الله-ﷺ- يوم الاثنين لثمان ليال خلون من شهر رمضان واستعمل عمرو بن أم مكتوم- عبدالله بن أم مكتوم- أخابنى عامر بن لؤى على الصلاة بالناس ورد أبالبابة من الروحاء، واستعمله على المدينة.

وكانت الإبل سبعين بعيراً يتعاقب النفر البعير، وكانت الخيل فرسين، فرس للمقداد بن عمرو، وفرس لمرثد بن أبى مرثد الغنوى.

ودارت المشاورة بين الرسول الكريم وأصحابه حول المكان الذى ينزلون فيه حتى استقر على رأى الحباب بن المنذر. وقال له الرسول-ﷺ- لقد أشرت بالرأى.

وكان الحباب أشار بالنزول عند أدنى ماء من القوم. ونهض الرسول ومن معه فساروا حتى أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه(١).

حتى كان اليوم الموعود- يوم بدر- وأخذ الرسول-ﷺ- يلهج بالدعاء رافعاً يديه ويسقط رداءه من على منكبيه- ويخرج من العريش الذى أقيم له وهو يقول: "سيهزم الجمع ويولون الدبر".

وبدأت أحداث الغزوة التى فصل القرآن المجيد مواقعها.. وتبدأ بالتأييد من الله تعالى.. وتنتهى بالنصر العظيم لرسول الله-ﷺ- ومن معه من المؤمنين.

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٦١٢/٢ والطبقات الكبرى لابن مسعد ١٢/٢ ط دار الكتب العلمية.

مقدمات غزوة بدر

* **خروج النبى–ﷺ– من المدينة:**

يقول الحق سبحانه **﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ. يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ. وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ. لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾**(١).

عرض القرآن المجيد لغزوة بدر عرضاً واضحاً فى سورة الأنفال حتى سماها عبدالله بن عباس– رضى الله عنهما– سورة بدر.

فى البخارى:

عن سعيد بن جبير قلت لابن عباس : سورة الأنفال قال : نزلت فى بدر(٢).

وتسمية ابن عباس لسورة الأنفال بسورة بدر لأنها فصلت كثيراً من أحداث ووقائع تلك الغزوة.

والآية الكريمة "كما أخرجك ربك من بيتك بالحق" ذكر المفسرون فى سبب نزولها" أخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن أبى أيوب الأنصارى قال: قال لنا رسول الله–ﷺ– ونحن بالمدينة، وبلغه أن عير أبى سفيان قد أقبلت: ما ترون فيهم؟ فقلنا: يا رسول الله ما لنا طاقة بقتال القوم وإنما خرجنا للعير، فقال المقداد: لا تقولوا كما قال قوم موسى **﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾**. فأنزل الله **﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾**(٣).

---

(١) الآيات ٥–٨ سورة الأنفال.

(٢) رواه البخارى فى كتاب التفسير ١٨٣/٦.

(٣) أسباب النزول للسيوطى ١٠٧.

لقد خرج الرسول الكريم–ﷺ– من المدينة طالباً للعير التى كانت مع أبى سفيان ومن معه.. وفيها أموال المهاجرين التى تركوها فى مكة قبل هجرتهم إلى المدينة.. وحث الرسول–ﷺ– المسلمين على الخروج قائلاً: "هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها" فخرج ومعه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً– وهم الذين حضروا بدرا– وكان القصد العير التى فيها الأموال.

لكنّ فريقاً من المسلمين– كما توضح الآيات– كره الخروج وكان أسلوب التربية الفريد فى القرآن المجيد حين أرشد إلى ما فيه صلاحهم.

واختلف المفسرون فى الكاف التى فى قوله "كما أخرجك" وما الذى شبه بإخراج نبيه–ﷺ– من بيته بالحق..

قيل: شبه به فى الصلاح للمؤمنين اتقاؤهم ربهم، فإن ذلك خير لكم، كما أخرج الله محمدا–ﷺ– من بيته بالحق كان خيراً له.

وقيل: كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره من فريق من المؤمين كذلك هم يكرهون القتال، فهم يجادلونك فيه بعدما تبين لهم(١).

يقول ابن الجوزى: فى متعلق هذه الكاف أقول:

الأول: أنها متعلقة بالأنفال.. ويكون المعنى: امض لأمر الله فى الغنائم وإن كرهوا، كما مضيت فى خروجك من بيتك وهم كارهون.. أو أن الأنفال لله والرسول–ﷺ– بالحق الواجب كما أخرجك ربك بالحق، وإن كرهوا ذلك.. أو يسألونك عن الأنفال مجادلة كما جادلوك فى خروجك..

الثـــانى: أن الكاف متعلقة بقوله "فاتقوا الله وأصلحوا" والمعنى: إن التقوى والإصلاح خير لكم، كما كان إخراج الله نبيه محمداً–ﷺ– خيراً لكم وإن كرهه بعضكم..

---

(١) جامع البيان ١٨٣/٩.

الثالـــث: أنهـا متعلقـة بقولـه "يجادلونـك" والمعنـى: مجـادلتهم إيـاك فـى الغنـائم كإخراج الله إياك إلى بدر وهم كارهون..

الرابع: أنها متعلقة بقوله "أولئك هم المؤمنون" والمعنى: وهم المؤمنون حقاً كما أخرجك ربك من بيتك بالحق(١).

والمعنى: كما أخرجك ربك بالحق فإن الأنفال ثابتة لك بالحق.. وأن هذه الحال كحال إخراجك يعنى أن حالهم فى كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم فى كراهة خروجك للحرب(٢).

والمعنـى الـذى يتفـق مـع السـياق وذهـب إليـه كثيـر مـن المفسـرين: أن الكـاف للتشبيه.. والمعنى: أن حال بعض الذين خرجوا فى بدر فى كراهتهم تقسيم الغنائم بالسوية، كحال بعضهم فى كراهية الخروج للقتال.. مع أن القسمة والقتال فيهما من الخير والبركة ما فيهما.

والآية تبين أن بعض المسلمين كان كارهاً للخروج للقتال، وسبب هذا الكره إما لعدم الاستعداد للقتال، أو للميل للغنيمة أو النفرة الطبيعية عنه، وهذا مما لا يدخل تحت القدرة والاختيار، فلا يرد أنه لا يليق بمنصب الصحابة هذا. وقد استجاب الصحابة بعد ذلك كلهم للقتال(٣).

وكان من شأن هؤلاء الكارهين أن استبد بهم من الجزع ما جعلهم يجادلون "يجادلونك فى الحق بعدما تبين لهم كأنهم يساقون إلى الموت وهم ينظرون". فهم

---

(١) انظر زاد المسير لابن الجوزى ٣٢٢/٤.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ٣٦٧/٧ والكشاف ١٤٣/٢.

(٣) روح المعانى ٦٩/١٠.

يجادلون رسول الله–ﷺ– فى شأن القتال يوم بدر لأنهم خرجوا بغير عدة، فقالوا: هلا أخبرتنا بالقتال لنأخذ العدة، فجادلوا طلباً للرخصة فى ترك القتال(١).

وقد تبين لهم الحق والصواب، وأن ما يفعله رسول الله–ﷺ– هو ما أمره الله تعالى به.. وكان حال هؤلاء الكارهين كمن يساق إلى الموت على كره.

لكن رحمة الله بالمؤمنين واسعة.. فقد وعدهم وعد صدق وحق بأنهم لا بد أن يظفروا بخير.. ومن ثم فلا داعى للجزع والخوف.

يقول جل ذكره **﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ. لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾**(٢).

قال أهل التفسير: أقبل أبوسفيان من الشام فى عير لقريش حتى إذا دنا من بدر نزل جبريل فأخبر النبى–ﷺ– بذلك، فخرج فى جماعة من أصحابه يريدهم، فبلغهم ذلك فبعثوا عمرو بن ضمضم الغفارى إلى مكة مستغيثاً، فخرجت قريش للمنع عنها، ولحق أبوسفيان بساحل البحر، ففات رسول الله ونزل جبريل بهذه الآية "وإذ يعدكم الله". والمعنى: اذكروا إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين: والطائفتان: أبوسفيان وما معه من المال، وأبوجهل ومن معه من قريش، فلما سبق أبوسفيان بما معه كتب إلى قريش إن كنتم خرجتم لتحرزوا ركائبكم فقد أحرزتها لكم، فقال أبوجهل: والله لا نرجع، وسار رسول الله–ﷺ– يريد القوم، فكره أصحابه ذلك وودوا أن لو نالوا الطائفة التى فيها الغنيمة دون القتال، فذلك قوله "وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم"(٣).

---

(١) زاد المسير ٣٢٣/٤.

(٢) الآية ٧، ٨ سورة الأنفال.

(٣) زاد المسير ٣٢٣/٣، ٣٢٤.

والشوك: ما يدق ويصلب رأسه من النبات، ويعبر بالشوك والشكة عن السلاح والشدة(١).

إن المؤمنين تعلقت أنفسهم بالعير وهذا أمر يسير وفيها الغنيمة.. لكن إرادة الله تعالى هى النافذة، فهو سبحانه يريد أن تعلو كلمة الحق، وأن يزهق الباطل. وهذا قوله سبحانه "ويريد الله أن يحق الحق بكلماته" هو يريد أن يجمع بينكم وبين الطائفة التى لها الشوكة والقتال ليظفركم بهم وينصركم عليهم ويظهر دينه ويرفع كلمة الإسلام ويجعله غالباً على الأديان وهو أعلم بعواقب الأمور، وهو الذى يدبركم بحسن تدبيره، وإن كان العباد يحبون خلاف ذلك فيما يظهر لهم كقوله تعالى ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ**﴾(٢).

إنكم تريدون الفائدة العاجلة وسفاسف الأمور، وأن لا تلقوا ما يرزؤكم فى أبدانكم وأحوالكم، والله جل وعز يريد معالى الأمور، وما يرجع إلى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز فى الدارين.. وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم وأعزكم وأذلهم، وحصل لكم العير وما فيها(٣).

لقد أراد الحق سبحانه أن تعلو راية الإسلام خفاقة، وأن يجتث دابر الكافرين حتى لا تبقى لهم شوكة، وتنعم البلاد والعباد بعظمة الإسلام.

وستبقى هذه المعانى السامية نبراساً يضىء وسناً متألقاً لا يخبو نوره.. وستظل شمسها ساطعة ترسل أشعتها فى كل جيل وفى كل مكان ينشد أهله الحق، فى

---

(١) مفردات القرآن ٢٧١.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٨٨/٢. والآية رقم ٢١٦ سوؤة البقرة.

(٣) الكشاف ١٤٥/٢.

إذعان كامل لحكمة الله ومشيئته، ومهما علا صوت الباطل فلا بد أن يندحر أمام عدالة الحق وهديه.

﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ. لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

خروج المشركين من مكة

يقول الحق سبحانه **﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾**(١).

تصور الآية الكريمة حالة المشركين أثناء خروجهم من مكة لملاقاة العير التى كانت مع أبى سفيان.

وقد تولى أبوجهل قيادة من خرجوا.. ولما بلغه أن العير قد نجت ولا حاجة لاستمرار السير أبى العودة وظل سادراً فى غيه. على كبره وعناده.

يذكر القرطبى: أن أبا جهل وأصحابه الخارجين معه يوم بدر لنصرة العير خرجوا بالقيان والمغنيات والمعازف، فلما وردوا الجحفة بعث خفاف الكنانى بهدايا إليه مع ابن عم له، وقال: إن شئت أمددتك بالرجال، وإن شئت أمددتك بنفسى مع ما خف من قومى، فقال أبوجهل: إن كنا نقاتل الله كما يزعم محمد، فوالله ما لنا بالله من طاقة، وإن كنا نقاتل الناس فوالله إن بنا على الناس لقوة، والله لا نرجع عن قتال محمد حتى نرد بدراً فنشرب فيها الخمور، وتعزف علينا القيان، فإن بدراً موسم من مواسم العرب، وسوق من أسواقهم، حتى تسمع العرب بمخرجنا فتهابنا آخر الأبد. فوردوا بدراً ولكن جرى ما جرى من هلاكهم(٢).

ويذكر ابن الجوزى: فى قوله تعالى: **﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً﴾**..

قال المفسرون: هم أبوجهل ومن خرج معه من مكة، خرجوا ليدفعوا عن عيرهم التى كانت مع أبى سفيان، ومعهم القيان والمعازف، وهم يشربون الخمور. فلما رأى أبوسفيان أنه قد أحرز ما معه، كتب إليهم، إنى قد أحرزت أموالكم فارجعوا، فقال

---

(١) الآية ٤٧ سورة الأنفال.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٥/٨.

أبوجهل: والله لا نفعل حتى نرد بدراً فنقيم ثلاثاً وننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونسقى الخمور، وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا، فساروا إلى بدر فكانت الوقعة، فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القيان[1].

والبطر: دهش يعترى الإنسان من سوء احتمال النعمة، وقلة القيام بحقها، وصرفها إلى غير وجهها[2].

لقد وصف الله المشركين بأنهم لا يقومون بحق النعمة وأن أعمالهم ليست خالصة وإنما ظهور وحب ثناء ومدح، ويصدون عن سبيل الله بإعراضهم وتحريض غيرهم.

إن أبا جهل ورهطه وشيعته كانوا مجبولين على البطر والمفاخرة والعجب، أما صدهم عن سبيل الله فإنما حصل فى الزمان الذى أكرم فيه النبى -ﷺ- بالنبوة، ولهذا السبب ذكر البطر والرئاء بصيغة الاسم، وذكر الصد عن سبيل الله بصيغة الفعل[3].

والآية الكريمة فيها نهى للمؤمنين أن يتشبهوا بهؤلاء الذين يحركهم العناد والهوى، والبطر والرياء، حتى غدت حياتهم لعباً ولهواً وتفاخراً بقبيح العمل.. فكان عاقبة أمرهم خسراً.

---

(١) زاد المسير ٣/٣٦٦.

(٢) المفردات ٥٢.

(٣) التفسير الكبير ١٥/١٧٣.

* **تزيين الشيطان لأعمال المشركين:**

الآية السابقة ذكرت خروج المشركين فى كبر وصلف، وصد عن سبيل الله، وهذه الحالة لا شك أنها من تزيين الشيطان "أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً"(١).

ولذلك أعقبها بقوله سبحانه **﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾**(٢).

قال عروة بن الزبير: لما أجمعت قريش المسير إلى بدر ذكروا ما بينهم وبين كنانة من الحرب، فتبدى لهم إبليس فى صورة سراقة بن مالك المدلجى، وكان من أشراف بنى كنانة، فقال لهم: "لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم. من أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه، فخرجوا سراعا".

والأعمال التى زينها الشيطان لهم.. الشرك أو المسير إلى بدر وقتالهم لرسول الله-ﷺ-(٣).

وذكر ابن جرير الطبرى: عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال: جاء إبليس يوم بدر فى جند من الشيطان معه رايته فى صورة رجل من بنى مدلج، فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم، فقال الشيطان للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم، فلما اصطف الناس أخذ رسول الله-ﷺ- قبضة من التراب فرمى بها وجوه المشركين فولوا الأدبار، وأقبل جبريل إلى إبليس فلما رآه، وكانت يده فى يد رجل من المشركين انتزع إبليس يده فولى مدبراً هو وشيعته.

فقال الرجل: يا سراقة تزعم أنك لنا جار؟ قال: "إنى أرى مالا ترون إنى أخاف الله، والله شديد العقاب" وذلك حين رأى الملائكة(١).

---

(١) الآية ٨ سورة فاطر.

(٢) الآية ٤٨ سورة الأنفال.

(٣) زاد المسير ٣٦٦/٣.

قال أبوعبيدة: رجع من حيث جاء، وقال ابن السائب: كان إبليس فى صف المشركين على صورة سراقة آخذاً بيد الحارث بن هشام، فرأى الملائكة فنكص على عقبيه، فقال له الحارث: أفراراً من غير قتال؟ فقال "إنى أرى مالا ترون" فلما هزم المشركون، قالوا: هزم الناس سراقة، فبلغه ذلك فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغنى هزيمتكم.

قال قتادة: صدق عدو الله فى قوله "إنى أرى ما لا ترون" ذكر لنا أنه رأى جبريل ومعه الملائكة، فعلم أنه لا يد له بالملائكة، وكذب عدو الله فى قوله "إنى أخاف الله" والله ما به مخافة الله، ولكن علم أنه لا قوة له بهم.

وقال عطاء: إنى أخاف الله أن يهلكنى.. ومعنى "نكص" رجع هارباً بخزى وذل(٢).

أجل!! زين لهم الشيطان أعمالهم، وقال لا غالب لكم اليوم من الناس والآية تثبت أن الشيطان شجع المشركين على الخروج، ونكص على عقبيه، لكن لا نعلم الكيفية التى زين لهم بها أعمالهم. ولا كيف قال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس، ولا كيف نكص.. الكيفية لا نجزم بها، ذلك أن أمر الشيطان كله غيب، ولا سبيل لنا إلى الجزم بشىء من أمرة إلا بنص قرآنى أو حديث نبوى صحيح، والنص هنا لا يذكر الكيفية. وإنما يثبت الحادث(٣).

وهناك من لا يعول على الروايات فى هذا الموقف، ويرى أن التزيين كان غير محسوس، وإنما عن طريق الوسوسة، وتكلم فيما أثر من مروى فى هذا(٤).

---

(١) جامع البيان ١٠/١٨.
(٢) زاد المسير ٣/٣٦٧.
(٣) انظر فى ظلال القرآن ٣/١٥٣١.
(٤) انظر تفسير القرآن الحكيم ١٠/٢٨.

لكن!! ما نوقن به من خلال الآية الكريمة أن الشيطان كان له دور مؤثر وأنه زين للمشركين سوء أعمالهم.

وسواء أصحت الروايات أم لم تصح، فإن القرآن المجيد ذكر دور الشيطان مع القوم– فى الآية– وأنه أغراهم بقوتهم وعدتهم، كما وعدهم بأنه لن يتخلى عنهم..

لكن!! أنى له ذلك؟

فقد نكص على عقبيه وترك أنصاره فى غيهم وضلالهم، وتبرأ منهم.. وهئ الله تعالى للمسلمين أمر الرشد ومكنهم من عدوهم فى يوم بدر.. وأعلا كلمة الحق ودحر الباطل وحزبه.

موقف المشركين حين قدموا بدراً

يقول الحق سبحانه ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

- عن ابن عباس: أن أباجهل قال: اللهم أينا كان أحب إليك وأرضى عندك فانصره اليوم.. فنزلت هذه الآية.
- وعن عكرمة قال: إن المشركين قالوا: اللهم إنا لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق.
- وقال السدى: إن المشركين أخذوا بأستار الكعبة قبل خروجهم إلى بدر، فقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم القبيلين. فنزلت هذه الآية.

وعليه فالمخاطب بقوله "إن تستفتحوا" هم المشركون- وهو الأشهر والأرجح[2].

وسياق الآية يؤكد أن المخاطب المشركون، بدليل ما فيها من تهديد ووعيد. فقد كانوا عند خروجهم من مكة سألوا الله أن ينصر أحق الطائفتين بالنصر، فتهكم الله بهم، وسمى ما حل بهم من الهلاك نصراً.. "وإن تنتهوا" عما كنتم عليه من الكفر والعداوة لرسول الله-ﷺ- فالانتهاء خير لكم وإن عدتم إلى ما كنتم عليه من الكفر والعداوة "نعد" بتسليط المؤمنين عليكم ونصرهم كما سلطانهم ونصرناهم فى يوم بدر ولن تغنى عنكم جماعتكم- مهما كثرت- فى حال من الأحوال.. "وأن الله مع المؤمنين" ومن كان الله معه فهو المنصور، ومن كان الله عليه فهو المخذول[3].

والفتح: إزالة الإغلاق والإشكال.. يقال: فتح القضية فتاحاً فصل الأمر فيها وأزال الإغلاق عنها.. والاستفتاح: الاستنصار- طلب النصر[4].

---

(١) الآية ١٩ سورة الأنفال.

(٢) زاد المسير ٣٣٥/٣ وانظر الطبرى ٢٠٨/٩.

(٣) انظر فتح القدير للشوكانى ٢٩٧/٣.

(٤) المفردات ٣٧٠.

وكما سلف- فالمخاطب هم المشركون، وهو ما رجحه كثير من المفسرين، ويتفق مع ما فى الآية.

قال ابن عباس والزجاج: إن قلنا إنهم المشركون: احتمل وجهين:

الأول: إن تستنصروا فقد جاءكم النصر عليكم.

الثانى: إن تستنصروا لأحب الفريقين إلى الله، فقد جاء النصر لأحب الفريقين..

والاستفتاح: طلب الحكم.. والمعنى: إن تسألوا الحكم بينكم وبين المسلمين، فقد جاءكم الحكم، وإلى هذا المعنى ذهب عكرمة ومجاهد وقتادة..

أما قوله "وإن تنتهوا فهو خير لكم" فهو خطاب للمشركين على قول الجماعة.

والمعنى: إن تنتهوا عن قتال محمد-ﷺ- والكفر، مروى عن ابن عباس... أو إن تنتهوا عن استفتاحكم فهو خير لكم، لأنه كان عليهم لا لهم..

وإن تعودوا إلى القتال نعد إلى هزيمتكم.. أو إن تعودوا إلى الاستفتاح نعد إلى الفتح لمحمد-ﷺ-.. ولن تغنى جماعتكم وإن كثرت لأن الله مع المؤمنين بالعون والنصر[1].

وإن كان البعض يرى أن الخطاب للمؤمنين.. إلا أن هذا الرأى مرجوح ويأباه سياق الآية وما فيها، ومن ثم لا يعول عليه، يدل على ذلك.

أ) التحذير "إن تنتهوا" عن العناد والكفر "فهو خير لكم".

ب) التهديد "إن تعودوا" لعنادكم وكفركم "نعد" عليكم بالخذلان.

ج) الوعد للمؤمنين "وأن الله مع المؤمنين" بنصره وتأييده.

مكان المؤمنين ومكان المشركين

ذكر القرآن المجيد المكان الذى نزل فيه كل فريق، وكذلك الحالة التى التقى عليها الفريقان يوم بدر.

(١) انظر زاد المسير ٣/٣٣٦.

قال الله تعالى ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَـكِن لِّيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

العـــدوة: شفير الوادى، والدنيا الأقرب، والقصوى الأبعد- والركب اسم جمع لراكب: وهم العشرة فصاعداً من راكبى الإبل.. ولا تقول العرب: ركب إلا للجماعة الراكبى الإبل(٢).

ما فائدة هذا التوقيت، وذكر مراكز الفريقين، وأن العير كانت أسفل منهم؟؟

يقول الزمخشرى: الفائدة فيه الإخبار عن الحال الدالة على قوة الشأن للعدو، وتكامل عدته، وتمهد أسباب الغلبة له، وضعف شأن المسلمين والتباث أمرهم، وأن غلبتهم فى مثل هذه الحال ليست إلا صنعاً من الله تعالى، ودليلاً على أن ذلك أمر لم يتيسر إلا بحوله وقوته وباهر قدرته.. وذلك أن العدوة القصوى التى أناخ بها المشركون كان فيها الماء، وكانت أرضا لا بأس بها، ولا ماء بالعدوة الدنيا، وهى خيار(٣) تسوح فيها الأرجل، ولا يمشى فيها إلا بتعب ومشقة.. وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم، فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم، وتشحذ فى المقاتلة عنها نياتهم، ولهذا كانت العرب تخرج إلى الحرب بظعنهم وأموالهم، ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم، على بذل جهدهم فى القتال..

وفيه تصوير ما دبر الله تعالى من أمر غزوة بدر ليقضى أمراً كان مفعولاً من إعزاز دينه وإعلاء كلمته، حين وعد المسلمين إحدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين فى الخروج، وأقلق قريشاً ما بلغهم من تعرض

(١) الآية ٤٢ سورة الأنفال.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ٢١/٨.

(٣) أرض لينة تسوخ فهيا الأقدام.

المسلمين لأموالهم فنفروا ليمنعوا عيرهم... وأناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى وراءهم العير يحاملون عليها، حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان[1].

وقوله تعالى ﴿**وَلَوْ تَوَاعَدتُمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَـكِن لِّيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً**﴾. يدل على أن الأمر كان نذيراً إلهياً لا دخل لأحد فيه.

يدل على ذلك حديث كعب بن مالك–رضي الله عنه– قال: إنما خرج رسول الله–ﷺ– والمسلمون يريدون عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد.

وعن عمير بن إسحاق قال: أقبل أبوسفيان فى الركب من الشام، وخرج أبوجهل ليمنعه من رسول الله–ﷺ– وأصحابه، فالتقوا ببدر ولا يشعر هؤلاء بهؤلاء، ولا هؤلاء بهؤلاء، حتى التقى السقاة. قال: ونظر الناس بعضهم لبعض[2].

لقد كان الغرض إنقاذ العير دون القتال فقد كان القوم يهابون قتال رسول الله–ﷺ–.. ولكن تلاقى الفريقان هناك على غير موعد ولا رغبة فى القتال ليقضى الله أمراً كان فى علمه وحكمته أنه واقع لا بد منه وهو القتال المفضى إلى خزى الأعداء ونصر المؤمنين عليهم وإظهار دين الله، وصدق الله وعده لرسوله–ﷺ–.

وقوله سبحانه ﴿**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾.

البينة الحجة الواضحة التى تدل على أن الإسلام حق وأن الكفر باطل.. والمعنى ليموت من يموت عن حجة عاينها، ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها، فلا يبقى محل للتعلل بالأعداد، فإن وقعة بدر من الآيات الواضحة والحجج الغر المحجلة.. ويجوز أن يراد بالحياة الإيمان، وبالموت الكفر على سبيل الاستعارة أو

---

(١) الكشاف ١٦٠/٢.

(٢) انظر جامع البيان ١٢/١٠ وروح المعانى ٧/١٠.

المجاز المرسل.. وأن يراد بالبينة إظهار كمال القدرة الدالة على الحجة الواقعة.. أى ليصدر كفر من كفر وإيمان من آمن عن وضوح وبينة، والظاهر أن "عن" هنا بمعنى بعد، كقوله تعالى "عما قليل ليصبحن نادمين"(١). وتختم الآية بقوله سبحانه "وإن الله لسميع عليم" وهو تذييل قصد به الترغيب فى الإيمان والترهيب من الكفر، أى لا يخفى عليه شىء من أقوال أهل الإيمان، عليم بما تنطوى عليه قلوبهم وضمائرهم، وسيجازى كل إنسان بما يستحقه من ثواب أو عقاب على حسب ما يعلم وما يسمع عنه(٢).

فالآية الكريمة توضح مايلى:

أ) مكان فريق المؤمنين- وفريق الكافرين.

ب) أن الالتقاء فى هذا المكان لم يكن عن وعد، وإنما هو ترتيب إلهى.

ج) أن حجة أهل الإيمان واضحة.. لكن الكبر يعمى البصائر ويطمس على القلوب فيجعلها لا تنقاد إلى حق.

د) يأتى ختام الآية ببيان الحقيقة وهى أن الله تعالى لا يخفى عليه شىء... فعلمه جل ذكره شامل مطلق لما كان وما هو كائن، وما سيكون إلى قيام الساعة.

* استغاثة الرسول-ﷺ- والمؤمنين بالله تعالى:

حين يشتد الأمر يلوذ الصادقون بالله رب العالمين.. طالبين المعونة والنصرة والصادق المصدوق-ﷺ- وقف يوم بدر وهو مستقبل القبلة يلهج بالدعاء فى ضراعة وخشوع.

يصور هذا الموقف عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- ففى صحيح مسلم عن ابن عباس قال: حدثنى عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله-ﷺ- إلى

(١) الآية ٤٠ سورة المؤمنون.

(٢) المصدر السابق ٧/١٠.

المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبى الله–ﷺ– القبلة ثم مد يده فجعل يهتف بربه، ويقول: "اللهم أنجز لى ما وعدتنى، اللهم أنجز لى ما وعدتنى، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض".

فما زال ماداً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبوبكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، وأنزل الله جل وعز ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾. الآية فأمده الله بالملائكة(١).

وذكر ابن كثير فيما رواه ابن إسحاق أن النبى–ﷺ– قال: اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذى وعدتنى(٢).

وفى صحيح البخارى عن ابن عباس قال: قال النبى–ﷺ– يوم بدر: "اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد" فأخذ أبوبكر بيده فقال: حسبك: فخرج–ﷺ– وهو يقول: "سيهزم الجمع ويولون الدبر"(٣).

ويذكر القرآن المجيد هذا الموقف فى قول الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾(٤).

الاستغاثة طلب الغوث والنصر، يقال: غوث الرجل أى قال: واغوثاه، والاسم الغوث.. واستغاثنى فلان فأغثته، والاسم الغياث(٥).

---

(١) رواه مسلم كتاب الجهاد باب الإمداد بالملائكة ١٣٨٤/٣.

(٢) السيرة النبوية ٤٠٤/٣.

(٣) رواه البخارى باب قصة غزوة بدر ٩٣/٥.

(٤) الآية ٩ سورة الأنفال.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٣٧٠/٧.

واستجاب الله تعالى غوث نبيه–ﷺ– والمؤمنين معه فأمدهم بألف من الملائكة مردفين.

وفى "مردفين" قراءتان بكسر الدال وفتحها.. فمردفين بالكسر أى متتابعين، يأتى بعضهم فى إثر البعض، كالقوم الذين أردفوا على الدواب. ومردفين بالفتح أى فعل بهم ذلك. أى أن الله تعالى أردف المسلمين وأيدهم بهم، وجعلهم خلف المسلمين لتقويتهم(١).

والتعبير بقوله "تستغيثون" بصيغة المضارع ومعلوم أن الاستغاثة كانت قبل نزول الآية حتى يستحضروا الحالة الماضية ويستمروا على شكرهم لله الذى أنعم عليهم بالمدد.. "فاستجاب لكم" أى استجاب الله استغاثتهم وأمدهم وأيدهم.

(١) التفسير الكبير ١٥/١٣٠.

كيف بدأت الغزوة؟؟

بدأت الغزوة بالمبارزة بين بعض الصحابة وبعض المشركين.. وجاء التصريح بذكر أسماء الصحابة الذين بارزوا فى روايات كثيرة منها.

فى صحيح البخارى عن على بن أبى طالب–رضي الله عنه– أنه قال: "أنا أول من يجثو بين يدى الرحمن للخصومة يوم القيامة" وقال قيس بن سعد: وفيهم أنزلت "**هذان خصمان اختصموا فى ربهم**" قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر، حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة".

وفى البخارى عن أبى ذر–رضي الله عنه– قال: نزلت "هذان خصمان اختصموا فى ربهم" فى ستة من قريش.. وذكر الستة.

وعن قيس بن عبادة قال: سمعت أبا ذر–رضي الله عنه– يقسم لنزلت هذه الآيات فى هؤلاء الرهط الستة يوم بدر(١).

وعلى هذا فإن سبب نزول الآية الكريمة **﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾**(٢). هو موقف المبارزة بين الستة المذكورين، ومن قابلهم من المشركين، وإن رواية قيس ابن سعد بن عبادة التى أقسم فيها أبو ذر أن هذه الآية نزلت فى الرهط الستة يوم بدر تدل على مع ما ذكر معها من روايات فى الصحيح على السبب.

بيد أن هناك من يرى أن الآية نزلت فى أهل الكتاب، وهو مروى عن ابن عباس وقتادة.

---

(١) رواه البخارى فى كتاب المغازى باب قتل أبى جهل ٥/٩٥، ٩٦، وذكره الواحدى فى أسباب النزول ٣١٨.

(٢) الآية ١٩ سورة الحج.

قال ابن عباس نزلت فى أهل الكتاب، قالوا للمؤمنين نحن أولى بالله وأقدم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحن أحق بالله آمناً بمحمد، وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب، وأنتم تعرفون نبينا ثم كفرتم به حسداً. فنزلت هذه الآية(١).

لكن!! الروايات المذكورة فى الصحيح هى التى يعول عليها ويؤخذ بها فى سبب نزول الآية- وهو ما رجحه الإمام القرطبى(٢).

وما ذكره ابن عباس وقتادة فهو سبب لنزول آية أخرى ذكرها الإمام ابن جرير عن قتادة وهى قوله تعالى **﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً...﴾** إلى قوله تعالى: **﴿واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾**(٣).

والذى يعنينا فى هذا المقام.. أن الغزوة بدأت بالمبارزة بين الصحابة الذين صرحت بهم روايات الصحيح وبين نفر من المشركين، وكان الظفر والنصر والغلبة فيها للصفوة البررة من الصحابة الذين تقدموا لها..

(١) زاد المسير ٤١٦/٥.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ٢٥/١٢.

(٣) الآية ١٢٥ سورة النساء. وانظر جامع البيان ٢٨٨/٥.

تأييد الله للنبى–ﷺ– والمؤمنين

أولا: الإمداد بالملائكة:

لقد امتن الحق سبحانه على النبى–ﷺ– والمؤمنين فى يوم بدر بمنن عظام يعجز عنها البيان، وحسبنا بيان القرآن المجيد لهذه المنن الجسام.. وعلى رأس هذه الآلاء إمداد الله سبحانه للنبى والذين معه بالملائكة.

يقول الحق سبحانه ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾(١).

ويقول جل ذكره ﴿**إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ. بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ**﴾(٢).

الآيــة الأولى– من سورة الأنفال– ذكرت الإمداد بألف من الملائكة، وآية آل عمران ذكرت الإمداد بثلاثة آلاف وخمسة آلاف.

واختلف فى هذا الإمداد على قولين:

الأول: أنه كان يوم أحد، وكان إمدادا معلقاً على شرط، فلما فات شرطه فات الإمداد، وهذا قول الضحاك ومقاتل: وإحدى الروايتين عن عكرمة.

الثــانى: أنه كان يوم بدر، وهذا قول ابن عباس وقتادة، والرواية الأخرى عن عكرمة، واختاره جماعة من المفسرين.

وحجة هؤلاء أن السياق– فى الآية– يدل على ذلك قال تعالى ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن**

---

(١) الآيتان ٩، ١٩ سورة الأنفال.

(٢) الآيتان ١٢٤، ١٢٥ سورة آل عمران.

يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾... إلى قوله: **﴿وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ﴾**.

فهذا الإمداد بشرى واطمئنان للقلوب، فلما استغاثوا أمدهم الله بألف، ثم أمدهم بثلاثة آلاف، ثم أمدهم بخمسة آلاف لما صبروا واتقوا، وكان هذا التدرج ومتابعة الإمداد أحسن موقعاً وأقوى لتقويتهم وأسر لقلوبهم من أن يأتى مرة واحدة، وهو بمنزلة متابعة الوحى ونزوله مرة بعد مرة(١).

ويذكر ابن كثير اختلاف المفسرين فى هذا الوعد، هل كان يوم بدر أو يوم أحد، على قولين:

الأول: أن قوله تعالى **﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ﴾** متعلق بقوله **﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾**. وهذا قول الحسن والشعبى والربيع بن أنس وغيرهم.

فإن قيل: كيف يجمع بين هذه الآيات- التى فى سورة آل عمران- وبين قوله فى سورة الأنفال **﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾**.

فالجواب: أن التنصيص على الألف هنا لا ينافى الثلاثة آلاف فما فوقها، لقوله تعالى "مردفين" يعنى يردفهم غيرهم ويتبعهم ألوف أخر مثلهم.

الثانى: أن هذا الوعد فى قوله تعالى **﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ﴾** متعلق بقوله **﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾**. وذلك يوم أحد، وهو قول مجاهد وعكرمة والضحاك.. لكن قالوا لم يحصل الإمداد بالخمسة آلاف لأنهم يومئذ فروا(٢).

---

(١) ابن القيم "زاد المعاد" ٢/٢٢١. مطبعة الأنوار المحمدية.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/٤٠١ باختصار.

وجمهور المفسرين متفقون على أن هذا الوعد كان يوم بدر وهذا ما رجحه الإمام الطبرى والقرطبى وغيرهما(١).

وعلى هذا!! فإن الوعد بالإمداد كان يوم بدر، وهذا ما يدل عليه سياق الآيات وقوله تعالى "ويأتوكم من فورهم" يعنى من وجههم، فأصل الفور القصد إلى الشىء والأخذ فيه بجد..

و"مسومين" معلمين بعلامات.. وبكسرها اسم فاعل فيحتمل من المعنى ما تقدم، أى أعلموا أنفسهم بعلامة، وأعلموا خيلهم(٢).

* وقد تكلم العلماء فى عدد الملائكة الذين أمد الله تعالى بهم المؤمنين يوم بدر.. وعن مهمتهم.. هل شاركوا فى القتال مع المؤمنين، أم أن مهمتهم كانت تثبيت القلوب؟؟

أما ما يتعلق بالعدد فللعلماء فيه أقوال:

الأول: أنهم خمسة آلاف.. قاله الحسن: وروى جبير بن مطعم عن على –رضي الله عنه– قال: بينما أنا أفتح مع قليب بدر جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها، فكانت الريح الأولى جبريل نزل فى ألفين من الملائكة، وكان مع رسول الله–ﷺ– وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل فى ألفين من الملائكة عن يمين رسول الله–ﷺ– وكانت الريح الثالثة إسرافيل نزل فى ألف من الملائكة عن يسار رسول الله–ﷺ– وكنت عن يساره وهزم الله أعداءه.

الثانى: أربعة آلاف.. قاله الشعبى..

الثالث: ألف، قاله مجاهد..

---

(١) انظر "جامع البيان" ٧٦/٤ والجامع لأحكام القرآن ١٩٤/٤ والتفسير الكبير ٢١١/٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٩٦/٤.

وهناك أقوال أخرى تزيد عن هذا العدد[١].

لكن الآية الكريمة ذكرت الألف والثلاثة آلاف والخمسة آلاف.. فلا عبرة لمن يقول بالزيادة.

أخرج ابن جرير الطبرى عن قتادة قال: أمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة.. وأنهم وعدوا بالمدد بعد الألف.. ولا دلالة فى الآيات على أنهم أمدوا بما زاد على ذلك، ولا على أنهم لم يمدوا، ولا يثبت شىء من ذلك إلا بنص[٢].

وعليه.. فلا اعتداد بقول من يقول إنهم أكثر من خمسة آلاف، فقد حسمت الآية الكريمة العدد. ولا مجال لاجتهاد أو رأى.

* أما عن مهمة الملائكة... وهل شاركت فى القتال مع المؤمنين أم لا؟؟

فإن العلماء حيال هذه القضية فريقان:

الأول: أن الملائكة فى يوم بدر شاركوا مشاركة فعلية فى القتال مع المؤمنين ولهم أدلة على ذلك..

حتى قال الإمام القرطبى: تظاهرت الروايات بأن الملائكة حضرت يوم بدر وقاتلت، ومن ذلك قول أبى أسيد مالك بن ربيعة، وكان شهد بدراً: لو كنت معكم الآن ببدر ومعى بصرى لأريتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أمترى.

وعن سهيل بن حنيف قال: لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا يشير بسيفه إلى رأس المشرك فتقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه[٣].

---

(١) ابن الجوزى "زاد المسير" ٤٥٤/١.

(٢) جامع البيان ٧٩/٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٩٣/٤، والشعب الطريق فى الجبل.

وذكر السيوطى فى الدر: عن عبدالله بن عباس أنه قال: كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضا قد أرسلوها فى ظهورهم، ويوم حنين عمائم حمرا، ولم تضرب الملائكة فى يوم سوى يوم بدر، وكانوا فيما سواه عدداً ومدداً لا يضربون"(١).

وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة السوط فوقه، وصوت الفارس. أقدم حيزوم، إذ نظر إلى المشرك أمامه قد خر مستلقياً، فنظر إليه، فإذا هو خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط، فأخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصارى فحدث بذلك رسول الله-ﷺ- فقال له رسول الله-ﷺ- "صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة"(٢).

هذه بعض الروايات التى تؤكد مشاركة الملائكة يوم بدر فى القتال.. وهى صريحة واضحة فى دلالتها على هذا.

الثانى: يرى البعض أن الملائكة لم تقاتل قتالاً فعلياً.. وكانت مهمتهم تثبيت المؤمنين فى هذه الغزوة، وتقوية قلوبهم..

يقول الألوسى فى بيانه لقوله تعالى "وما جعله الله إلا بشرى" فى الآية إشعار بأن الملائكة لم يباشروا قتالاً- وهو مذهب لبعضهم- ويشعر ظاهرها بأن النبى- ﷺ- أخبرهم بذلك الإمداد، وفى الأخبار ما يؤيده، بل جاء فى غير ما خبر أن الصحابة رأوا الملائكة- عليهم السلام(٣).

ومما استدل به هؤلاء الذين يرون أن الملائكة نزلت للتثبيت والتأييد قول الله تعالى **﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ**

(١) الدر المنثور ٣٠٩/٢.

(٢) رواه مسلم فى كتاب الجهاد- باب الإمداد بالملائكة فى غزوة بدر ١٣٨٣/٣.

(٣) روح المعانى ١٧٤/٩.

الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[1]. **يعنى قووا عزمهم.. وصححوا نياتهم فى قتال أعدائهم من المشركين..**

ومعنى قوله تعالى **﴿فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ﴾** أمر الله المؤمنين معلماً إياهم كيفية قتل المشركين وضربهم بالسيف، أن يضربوا فوق الأعناق منهم والأيدى والأرجل[2].

وذكر الإمام الرازى وجهين لقوله تعالى "فاضربوا فوق الأعناق".

الأول: أنه أمر للملائكة متصل بقوله تعالى "فثبتوا".

الثانى: أنه أمر للمؤمنين– وهذا هو الأصح– لأنه تعالى ما أنزل الملائكة لأجل المقاتلة والمحاربة[3].

ومما استدل به هؤلاء أن الآيات الكريمة التى فصلت أحداث غزوة بدر ليس فيها آية واحدة تدل صراحة على أن الملائكة باشرت القتال مع المؤمنين بالفعل.. لكنها صريحة فى التثبيت.

وما ذكره الإمام ابن جرير الطبرى إحدى وجهين لقوله تعالى "فاضربوا فوق الأعناق".

وحجة هؤلاء أيضاً أن الملك الواحد قادر– بإذن الله– لإهلاك أهل الأرض جميعاً كما فعل جبريل بمدائن قوم لوط، فإذا حضر يوم بدر، وجميع الروايات تذكر أنه كان على رأس الملائكة، فأى حاجة إلى مقاتلة الناس مع الكفار؟ بل أى حاجة حينئذ إلى إرسال سائر الملائكة، وأيضاً فإن أكابر الكفار كانوا مشهورين، وقتال كل منهم من الصحابة معلوم.. ولو قاتلوا فإما أن يكونوا بحيث يراهم الناس أو لا يرونهم.. فلو رأوهم يكون عسكر الرسول–ﷺ– ثلاثة آلاف أو أكثر، ولم يقل أحد

---

(١) الآية ١٢ سورة الأنفال.

(٢) جامع البيان ١٩٧/٩.

(٣) التفسير الكبير ١٣٥/١٥ وانظر زاد المسير ٣١٩/٣.

بذلك، وإن لم يروهم كان يلزم حز الرؤوس وتمزيق البطون وإسقاط الكفار من غير مشاهدة فاعل، ومثل هذا من أعظم المعجزات، فكان يجب أن يتوافر ويشتهر بين المسلمين والكفار، والموافق والمخالف.. وهذا الرأى لأبى بكر الأصم(١).

ورد على ذلك الإمام السبكى فى جوابه عن الحكمة فى قتال الملائكة مع النبى–ﷺ– مع أن جبريل–عليه السلام– قادر أن يدفع الكفار بريشة من جناحه؟؟ فقال: ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبى–ﷺ– ولأصحابه، وتكون الملائكة مدداً على عادة الجيوش ورعاية لصورة الأسباب وسننها التى أجراها الله فى عباده، والله فاعل الجميع..

وعلق على ذلك الشيخ عرجون بقوله: رأى السبكى فى قتال الملائكة بصورة بشرية هو أحسن ما ينبغى أن يقال والقول بأن الخطاب فى قوله "فاضربوا" للمؤمنين تشتيت للضمائر فى الآية(٢).

وبعد عرض الرأيين أقول:

إن حجة القائلين بنزول الملائكة واشتراكهم الحقيقى فى القتال مع المؤمنين أقوى دليلاً وبياناً.. ولا جرح أبداً على إرادة وقدرة الله تعالى فهو سبحانه يخلق ما يشاء ويختار.. والحكمة من هذا بيان فضل النبى الكريم–ﷺ–.

وليس هناك ما يمنع من ذلك، فالأمر متعلق بالتأييد والإعجاز، والله تعالى يفعل ما يشاء، ولا معقب لحكمه!!

والعقل السليم لا يحيل ذلك، مع أنه ليس فى حاجة لذلك، لأن الأمر متعلق بالإعجاز والتأييد..

وحسبنا قول الله جل وعز "إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم..." الآية.

ثانيا: إلقاء النعاس على المؤمنين وإنزال المطر

(١) تفسير القرآن الحكيم ١١٣/٤.

(٢) الشيخ محمد الصادق عرجون "محمد رسول الله" ٤٠٨/٣.

من آلاء الله الكبرى ومننه العظمى على المؤمنين يوم بدر أنه سبحانه ألقى عليهم النعاس أمنة، وأنزل عليهم المطر ليطهروا به.

يقول جل ذكره **﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾**(١).

ويغشيكم من غشاه تغشية بمعنى غطاه.. أى يجعله عليكم كالغطاء من حيث اشتماله عليكم(٢).

وكان هذا النعاس فى الليلة التى كان القتال من غدها، فكان النوم عجيباً مع ما كان بين أيديهم من الأمر المهم، وكان الله ربط جأشهم.

عن على–ﷺ– قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد على فرس أبلق، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم سوى رسول الله–ﷺ– تحت شجرة يصلى حتى أصبح..

وفى امتنان الله تعالى على المؤمنين بالنوم فى هذه الليلة وجهان:

الأول: أنه قواهم بالاستراحة على القتال من الغد.

الثانى: أنه تعالى أمنهم بزوال الرعب من قلوبهم، كما يقال: الأمن منيم والخوف مسهر(٣).

ومنة إنزال الماء من السماء بين الله علتها "ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان".

وكما يقول الإمام الرازى: قد علم بالعادة أن المؤمن يكاد يستقذر نفسه إذا كان جنباً، ويغتم إذا لم يتمكن من الاغتسال، ويضطرب قلبه لأجل هذا السبب، فلا جرم عد الله تعالى ذكره تمكينهم من الطهارة من جملة نعمه(١).

---

(١) الآية ١١ سورة الأنفال.

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ٢/٢٣٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٧/٣٧٨.

وأصل الرجز: الاضطراب، ومنه قيل: رجز البعير رجزاً فهو أرجز، وناقة رجزاء إذا تقارب خطوها واضطرب لضعف فيها[٢].

لقد أنزل الله المطر على المؤمنين قبل التقاء الصفوف فتطهروا.. وأذهب عنهم الرجز.

روى ابن جرير عن ابن عباس قال: نزل النبى-ﷺ- حين سار إلى بدر والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دعصة[٣]، فأصاب المسلمين ضعف شديد، وألقى الشيطان فى قلوبهم الغيظ، فوسوس بينهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلون مجنبين، فأمطر الله عليهم مطراً شديداً، فشرب المسلمون وتطهروا، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان، وثبت الرمل حين أصابه المطر، ومشى الناس عليه والدواب فساروا إلى القوم[٤].

وعن عروة بن الزبير قال: بعث الله السماء وكان الوادى دهسا، فأصاب رسول الله-ﷺ- وأصحابه ما لبَّدلهم الأرض، ولم يمنعهم من المسير وأصاب قريشاً ما لم يقدروا على أن يرحلوا معه[٥]- وتلبيد الأرض تقويتها بحيث يمشى عليها-.

فالآية الكريمة بيان لمنة الله تعالى على المؤمنين بالنعاس وإنزال المطر من السماء.. وحسبهم من نعم الله ما أفاء عليهم فى هذا اليوم..

لقد كان النعاس أمنة وطمأنينة.. وكان المطر للطهر والرى، وليس هذا فحسب بل أثر على الأرض وتمكنوا من السير عليها.

---

(١) التفسير الكبير ١٣٣/١٥.

(٢) المفردات للراغب الأصفهانى ١٨٧.

(٣) الدعصة- بكسر الدال وسكون العين الكثيرة المجتمعة.. أى رمل كثير مجتمع.

(٤) تفسير الطبرى ١٩٥/٩.

(٥) ابن كثير ٢٩٢/٢.

ثالثا: تقليل عدد الأعداء فى عيون المؤمنين

يقول الحق جل ذكره ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾[1].

الخطاب فى الآية الكريمة للرسول-ﷺ- والمؤمنين، أى وفى الوقت الذى يريكم الله الكافرين عند التلاقى معهم عدداً قليلاً، وهم كثير عددهم، ويقلل المؤمنين فى أعينهم ليتركوا الاستعداد لهم فيهون على المؤمنين شوكتهم..

قال ابن مسعود وهو ممن شهد بدراً: لقد قللوا فى أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبى: أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، فأسرنا رجلاً منهم فقلنا له: كم كنتم؟ قال: ألفا..[2].

يقول ابن كثير: ومعنى هذا أن الله تعالى أغرى كلا من الفريقين بالآخر، وقلله فى عينه ليطمع فيه، وذلك عند المواجهة، فلما التحم القتال وأيد الله المؤمنين بألف من الملائكة مردفين بقى حزب الكفار يرى حزب الإيمان ضعيفاً كما قال تعالى ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾[3].

وهذا هو الجمع بين الآيتين، فإن كلا منهما حق وصدق ولله الحمد والمنة[4].

ويقول سبحانه ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[5].

قال مجاهد: أراهم الله إياه فى منامه وأخبر أصحابه بذلك فكان تثبيتاً لهم[1].

---

(١) الآية ٤٤ سورة الأنفال.

(٢) جامع البيان ١٣/١٠.

(٣) الآية ١٣ سورة آل عمران.

(٤) تفسير القرآن العظيم٣١٥/٢.

(٥) الآية ٤٣ سورة الأنفال.

والغرض من تقليل الكفار فى أعين المؤمنين ظاهر، فما الغرض من تقليل المؤمنين فى أعين عدوهم؟؟

قد قللهم الله فى أعينهم قبل اللقاء، ثم كثرهم فيها بعده ليجترئوا عليهم، قلة مبالاة بهم، ثم تفجؤهم الكثرة فيهنوا ويهابوا، وثقل شوكتهم حين يرون ما لم يكن فى حسابهم وتقديرهم، وذلك قوله "قد كان لكم آية فى فئتين التقتا..." الآية.

ولئلا يستعدوا لهم، وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الآية البينة من قلتهم أولا، وكثرتهم آخراً[٢].

وهذا الأمر من الله تعالى لحكمة أرادها "ليقضى الله أمراً كان مفعولا". أى قللتكم أيها المؤمنون فى أعين الكافرين ورأيتموهم فى أعينكم قليلاً حتى يقضى الله بينكم ما قضى من قتال بعضكم بعضاً... وإظهاركم أيها المؤمنون على أعدائكم من المشركين والظفر بهم لتكون كلمة الله هى العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، وذلك أمر كان الله فاعله وبالغاً فيه أمره[٣].

والآية الكريمة تعرض لهذه المنة العظيمة فى أسلوب معجز أخاذ يربط على قلوب المؤمنين، فلو ظهرت كثرة عددهم فى عيون المؤمنين لأدى ذلك إلى اضطراب وقلق، بل قد يفضى الأمر إلى الفشل "ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر".

---

(١) المصدر السابق ٣١٥/٢.

(٢) الكشاف ١٦١/٢.

(٣) جامع البيان ١٤/١٠.

نصر الله تعالى للمؤمنين

توالت الآلاء والنعم من الله تعالى على المؤمنين يوم بدر.. وكانت أجل نعمة وأعظم منة امتن سبحانه وتعالى بها أن أيدهم بنصره، ورد كيد أعدائهم فى نحورهم، ورجعوا إلى ديارهم يجرون ثوب الهزيمة التى لحقت بهم فى أول مواجهة. ويعبر القرآن المجيد عن هذا النصر بصيغة التأكيد.

يقول جل وعز ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾(١).

إن الله وحده هو الذى أيدهم بنصره، فقد كانوا قليلى العدد والعتاد، لكنهم كثير بقوة الإيمان وصدق الاعتماد واليقين..

وقوله "وأنتم أذلة" جاء بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلاً، وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركب، وذلك أنهم خرجوا على النواضح يتعقب النفر منهم على البعير الواحد، وما كان معهم إلا فرس واحد، وقلتهم أنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر، وكان عدوهم فى حال كثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس(٢).

وهذه منة تستوجب الشكر، ولذلك جاء ختام الآية "فاتقوا الله لعلكم تشكرون" أى اتقوا ربكم بطاعته، واجتناب محارمه، لعلكم تشكروه على ما منّ به عليكم من النصر على أعدائكم وإظهار دينكم، ولما هداكم له من الحق الذى ضل عنه مخالفوكم..

---

(١) الآية ١٢٣ سورة آل عمران.

(٢) الكشاف ٤١١/١.

ثم بين جل ذكره أن النصر لا يكون إلا من عند الله ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾[1]. ﴿**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[2].

تؤكد الآيتان على أن النصر لا يكون إلا من عند الله سبحانه وتعالى فهو العزيز ذو العزة التى لا ترام، والحكيم فيما شرعه من قتال الكفار مع القدرة على دمارهم وإهلاكهم بحوله وقوته سبحانه وتعالى[3].

وفى آية أخرى يبين الحق سبحانه منة عظمى من منه على المسلمين يوم بدر، وأنه سبحانه هو الذى فعل بأعدائهم ما أصابهم، ويربى المسلمين كيف يكون الاعتماد الصادق على الله تعالى.

يقول جل ذكره ﴿**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[4].

ذكر القرطبى: أن أصحاب رسول الله-ﷺ- لما صدروا عن بدر ذكر كل واحد منهم ما فعل، فقال: قتلت كذا، وأسرت كذا، فجاء ذلك تفاخراً ونحو ذلك، فنزلت الآية إعلاماً بأن الله هو المميت والمقدر لجميع الأشياء، وأن العبد إنما يشارك بتكسبه وقصده[5].

وعن على بن طلحة عن ابن عباس قال: رفع رسول الله-ﷺ- يديه: يوم بدر- فقال: "يا رب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض أبداً". فقال جبريل: خذ قبضة من التراب فارم بها فى وجوههم.. فأخذ قبضة من التراب فرمى بها فى

---

(١) الآية ١٢٦ سورة آل عمران.

(٢) الآية ١٠ سورة الأنفال.

(٣) انظر جامع البيان ٧٤/٤ وتفسير القرآن العظيم ٢٩١/٢.

(٤) الآية ١٧ سورة الأنفال.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٣٨٤/٧.

وجوههم، فما كان من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين.

ومعنى الآية الكريمة: ليس بحولكم وقوتكم قتلتم أعداءكم مع كثر عددهم وقلة عددكم، بل الله تعالى هو الذى أظهركم عليهم وأيدكم بنصره.. "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى" إشارة إلى قبضة التراب التى حصب بها النبى–ﷺ– وجوه الكافرين يوم بدر.. وأن الله هو الذى بلغ ذلك إليهم وكبتهم بها لا أنت(١).

إن فضل الله تعالى فى هذه الغزوة على المؤمنين واضح جلى، فهو سبحانه انتقم من أعدائهم وأذلهم– يوم بدر – وكان المسلمون يومئذ قليل، ولا يقارنون بالعدد والعتاد مع عدوهم.. وصدق الله العظيم **﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾**.

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/٢٩٥.

سيهزم الجمع ويولون الدبر

إنباء بالغيب:

أيد الله تعالى رسوله الكريم–ﷺ– بمعجزات كثيرة، وعلى قمتها ورأسها القرآن المجيد.. ومن إعجاز القرآن إخباره بالغيب، ومما أخبر عنه القرآن المجيد هزيمة المشركين يوم بدر.

يقول الله تعالى **﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ. بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾**(١).

روى ابن جرير الطبرى: عن عمر بن الخطاب قال: لما نزلت "سيهزم الجمع" جعلت أقول: أى جمع يهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبى–ﷺ– يثب فى الدرع ويقول "سيهزم الجمع ويولون الدبر"(٢).

وعن ابن عباس: كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين.. فالآية مكية، وهذا من معجزات النبى–ﷺ– لأنه أخبر عن غيب فكان كما أخبر(٣).

وفى صحيح البخارى عن ابن عباس أن النبى–ﷺ– قال: وهو فى قبة له يوم بدر "أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا" فأخذ أبوبكر بيده، وقال: حسبك يا رسول الله، فقد ألححت على ربك– وهو يثب فى الدرع– فخرج وهو يقول "سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر"(٤).

---

(١) الأيتان ٤٥، ٤٦ سورة القمر.

(٢) جامع البيان ١٠٨/٢٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٤٦/١٧.

(٤) رواه البخارى فى كتاب التفسير ١٧٩/٦. باب قوله "سيهزم الجمع ويولون الدبر".

والآية إنباء بالغيب وبشارة لسيدنا محمد–ﷺ– لأن سورة القمر مكية وبين نزولها وغزوة بدر سبع سنين– كما أخبر ابن عباس– وتحقق ما أخبر الله تعالى به، وهزم الجمع وولوا الأدبار، وأيد الله تعالى رسوله–ﷺ–.

ومعنى الآية: أيدعون أنهم يغالبون محمداً–ﷺ– وأصحابه وأنهم غالبوهم لأنهم جميع لا يغلبون.. وقوله تعالى "سيهزم الجمع ويولون الدبر" جواب عن قولهم "نحن جميع منتصر" فلذلك لم تعطف الجملة التى قبلها... والهزم الغلب والسين لتقريب المستقبل، والدبر: الظهر وهو ما أدبر، أى كان وراء، وعكسه القبل، والآية إخبار بالغيب فإن المشركين هزموا يوم بدر وولوا الأدبار يومئذ(١).

(١) انظر التحرير والتنوير ٢١٣/٢٧.

أسرى بدر

انتهت أحداث غزوة بدر، وقد كتب الله تعالى الظفر والنصر للمسلمين على عدوهم، وأقر الله أعينهم بالنصر والغنيمة..

وكان قد أسر من المشركين سبعون رجلاً، وكان رسول الله–ﷺ– لا يدرى ماذا يصنع مع هؤلاء الأسرى.. فاستشار أبابكر الصديق وعمر بن الخطاب فى شأن هؤلاء الأسرى، وقال كل منهما رأيه.

روى الترمذى وأحمد عن عبدالله بن مسعود قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله–ﷺ– "ما تقولون فى هؤلاء الأسرى"؟ فقال أبوبكر: يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم، وقال عمر: يا رسول الله أخرجوك وكذبوك قربهم واضرب أعناقهم، وقال عبدالله بن رواحة: يا رسول الله انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرم عليهم ناراً، فقال العباس: قطعت رحمك، فدخل رسول الله–ﷺ– ولم يرد عليهم شيئاً، فقال ناس: يأخذ بقول أبى بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول عبدالله بن رواحة فخرج عليهم رسول الله–ﷺ– فقال: "إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة. وإن مثلك يا أبابكر كمثل إبراهيم–عليه السلام– إذ قال: ﴿**فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[1]. ومثلك يا أبابكر كمثل عيسى إذ قال: ﴿**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[2]. وإن مثلك يا عمر كمثل نوح إذ قال: ﴿**رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ**

(١) الآية ٣٦ سورة إبراهيم.

(٢) الآية ١١٨ سورة المائدة.

الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾[1]. وإن مثلك كمثل موسى إذ قال: **﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾**[2].

ثم قال–ﷺ– "أنتم عالة فلا ينفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضربة عنق"[3].

وروى الإمام مسلم فى صحيحة: عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: حدثنى عمر بن الخطاب: أنه لما كان يوم بدر نظر رسول الله–ﷺ– إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبى الله–ﷺ– القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: "اللهم أنجز لى ما وعدتنى..".

قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله–ﷺ– لأبى بكر وعمر "ما ترون فى هؤلاء الأسارى"؟ فقال أبوبكر: يا نبى الله هم بنو العم والعشيرة، أرى أن نأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم إلى الإسلام، فقال رسول الله–ﷺ– "ما ترى يا ابن الخطاب"؟ قال: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذى يراه أبوبكر، ولكن أرى أن تمكننا منهم فنضرب أعناقهم، فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكننى من فلان– نسيباً لعمر– فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوى رسول الله–ﷺ– ما قال أبوبكر ولم يهو ما قلت[4]، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله–ﷺ– وأبوبكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله أخبرنى من أى شىء تبكى أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله–ﷺ– "أبكى للذى عرض على أصحابك من أخذهم الفداء، ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة، وأنزل الله عز وجل

(١) الآية ٢٦ سورة نوح.

(٢) الآية ٨٨ سورة يونس.

(٣) رواه الترمذى فى سننه كتاب التفسير ٢٧١/١٥ وأحمد فى المسند ٣٨٣/١.

(٤) أى أعجبه رأى أبى بكر ولم يعجبه رأى عمر.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾... إلى قوله: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً﴾. فأحل الله لهم الغنائم(١).

فالآية التى نزلت بشأن الأسرى هى قول الله تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. لَوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٢).

ومعناها: ليس من سنة الأنبياء ولا مما ينبغى لأحد منهم أن يكون له أسرى يفاديهم أو يمن عليهم إلا بعد أن يكون له الغلب والسلطان على أعدائه وأعداء الله الكافرين، لئلا يفضى أخذه فداء الأسرى إلى ضعف المؤمنين وقوة أعدائهم وجرأتهم عليهم، وما فعله المؤمنون من مفاداة أسرى بدر بالمال كان ذنباً أراده جمهورهم عرض الحياة الدنيا قبل الإثخان الذى تقتضيه الحكمة بإعلاء كلمة الله تعالى، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، ولولا كتاب من الله سبق من عدم عقابهم على ذنب أخذ الفداء قبل إذنه تعالى وعلى خلاف سنته لمسهم عذاب عظيم فى أخذهم ذلك، وأنه أحل لهم ما أخذوا وغفر لهم ذنبهم بأخذه قبل إحلاله لهم والله غفور رحيم(٣).

وقوله تعالى "ما كان لنبى" يحتمل معنيين- كما ذكر أبوحيان-:

الأول: التبرئة والتنزيه وعدم الوقوع.

الثانى: النهى الضمنى عن أن يقع متعلق الخبر.

وعلى المعنى الأول: أن الله تعالى يبرئ نبيه-ﷺ- وينزه ساحته عن أن يكون له قصد فى أخذ الأسرى وإنهاء المعركة قبل الإثخان فى الأرض.

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الجهاد والسير ١٣٨٣/٣. باب الإمداد بالملائكة وإباحة الغنائم.

(٢) الآيتان ٦٧، ٦٨ سورة الأنفال.

(٣) تفسير المراغى ٣٧/٤.

وعلى **المعنى الثانى:** يكون المراد نهيه–ﷺ– عن أن يكون له أسرى قبل الإثخان فى الأرض والمبالغة فى إضعاف قوة العدو.. وإن كان النهى لا يستلزم وقوع المنهى عنه من المخاطب لجواز أن يكون وقوع المنهى عنه كان ممن له صلة تبعية بالمخاطب، ويؤيد هذا تنكير نبى فى قوله "ما كان لنبى" إبهاماً فى كون النفى لم يتوجه إليه معنياً(١).

لقد جاءت الآية الكريمة فى غاية التلطف فى خطاب النبى–ﷺ– وإذا كان الخطاب موجهاً إليه–ﷺ– فى ظاهره.. فهو فى الحقيقة موجه إلى الذين أسرعوا فى إنهاء المعركة وأخذ الغنائم والأسرى بمجرد الانتصار وانتهاء المعركة..

ولذلك؟؟ لما نزلت الآية "ما كان لنبى أن يكون له أسرى" كف الصحابة عما أخذوا من الفداء.. فنزلت "فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً" أى إما الفدية وإما مطلق الغنائم، والمراد بيان حكم ما اندرج فيها من الفدية، وإلا فحل الغنيمة مما عداها علم سابقاً فى قوله "واعلموا أنما غنمتم"(٢).

* ذكر ابن كثير عن الزهرى عن جماعة سماهم قالوا: بعثت قريش إلى رسول الله–ﷺ– فى فداء أسراهم ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا، وقال العباس: يا رسول الله قد كنت مسلماً، فقال رسول الله–ﷺ– "الله أعلم بإسلامك فإن يكن كما تقول فإن الله يجزيك، وأما ظاهرك فقد كان علينا فافتد نفسك وابنى أخيك نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، وعقيل بن أبى طالب بن عبدالمطلب، وحليفك عتبة بن عمرو أخى بنى الحارث بن فهر" قال: ما ذاك عندى يا رسول الله قال: "فأين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل؟ فقلت لها إن أصبت فى سفرى هذا فهذا المال الذى دفنته لبنى الفضل وعبدالله" قال: والله يا رسول الله إنى لأعلم أنك رسول الله إن هذا

(١) انظر البحر المحيط لأبى حيان ٥١٨/٤.

(٢) روح المعانى ٣٦/١٠.

الشىء ما علمه أحد غيرى وغير أم الفضل فأحسب لى يا رسول الله ما أصبتم منى عشرين أوقية من مال كان معى فقال رسول الله–ﷺ– "ذاك شىء أعطانا الله تعالى منك" ففدى نفسه وابنى أخويه وحليفه، فأنزل الله عز وجل فيه **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**[1]. قال العباس: فأعطانى الله مكان العشرين الأوقية فى الإسلام عشرين عبداً كلهم فى يده مال يضرب به مع ما أرجو من مغفرة الله عز وجل[2].

والآية الكريمة وإن كان سبب نزولها موقف العباس إلا أنها عامة فى جميع الأسرى.

روى العوفى عن ابن عباس أنها نزلت فى جميع من أسر يوم بدر، وقال ابن زيد: لما بعث رسول الله–ﷺ– أتاه رجال، فقالوا: لولا أنا نخاف هؤلاء القوم لأسلمنا، ولكنا نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فلما كان يوم بدر قال المشركون: لا يتخلف عنا أحد إلا هدمنا داره واستحللنا ماله، فخرج أولئك القوم، فقتلت طائفة منهم وأسرت طائفة، فأما الذين قتلوا فهم الذين قال الله فيهم **﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾**[3]. وأما الذين أسروا فقالوا: يا رسول الله أنت تعلم أنا كنا نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وإنما خرجنا مع هؤلاء خوفاً منهم، فذلك قوله **﴿قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى﴾** إلى قوله "عليم حكيم"[4].

وقوله "إن يعلم الله فى قلوبكم خيراً" يعنى إسلاماً وصدقاً "يؤتكم خيراً مما أخذ منكم" من الفداء.. أكثر وأطيب.. وإن أراد الأسراء الخيانة بالكفر بعد الإسلام "فقد

(١) الآية ٧٠ سورة الأنفال.
(٢) تفسير القرآن العظيم ٣٢٧/٢.
(٣) الآية ٢٨ سورة النحل.
(٤) زاد المسير ٣٨٣/٤.

خانوا الله من قبل" إذ كفروا به قبل أسرهم، وخانوا بخروجهم مع المشركين.. وقال مقاتل: إن خانوك أمكنك منهم فقتلتهم وأسرتهم كما أمكنك ببدر.. "والله عليم" بخيانة إن خانوها "حكيم" فى تدبيره عليهم ومجازاته إياهم(١).

(١) المصدر السابق ٣٨٤/٤.

غنائم بدر

مكن الله تعالى المسلمين يوم بدر من المشركين وأعزهم وأيدهم بنصره، وأفاء عليهم من الآلاء والنعم، وظفر المسلمون بغنائم، واختلفوا فى تقسيمها..

لكن القرآن المجيد بين الأمر بياناً شافياً فى سورة بدر – سورة الأنفال– تلك السورة الكريمة التى فصلت أحداث الغزوة.

يقول الحق سبحانه **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾**(١).

*** سبب نزول الآية الكريمة:**

١– قال رسول الله–ﷺ– يوم بدر "من قتل قتيلاً فله كذا وكذا، ومن أسر أسيراً فله كذا وكذا" فأما المشيخة فثبتوا تحت الرايات، وأما الشباب فسارعوا إلى القتل والغنائم، فقال المشيخة للشبان: أشركونا معكم! فإنا كنا لكم ردءاً، فأبوا. فاختصموا إلى رسول الله–ﷺ– فنزلت سورة الأنفال– رواه عكرمة عن ابن عباس(٢).

٢– فى صحيح مسلم عن مصعب بن سعد عن أبيه أصبت سيفاً فأتيت به النبى–ﷺ– فقال: يا رسول الله نفلنيه فقال: "ضعه" ثم قام فقال له–ﷺ– "ضعه من حيث أخذته" ثم قام فقال: نفلنيه يا رسول الله، فقال "ضعه" فقام فقال: يا رسول الله نفلنيه. أأجُعل كمن لا غناء له؟ فقال له النبى–ﷺ– "ضعه من حيث أخذته". قال: فنزلت هذه الآية **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ﴾**(٣).

٣– عن عبادة بن الصامت قال: خرجنا مع النبى–ﷺ– فشهدت معه بدراً فالتقى الناس فهزم الله تعالى العدو، فانطلقت طائفة فى آثارهم يهزمون ويقتلون، فأكبت

---

(١) الآية ١ سورة الأنفال.

(٢) رواه أبوداود فى سننه ١٠٣/٣ رقم ٢٧٣٧ والحاكم ١٣١/٢ وقال صحيح.

(٣) رواه مسلم فى كتاب الجهاد باب الأنفال ١٣٦٧/٣.

طائفة على العسكر يحوونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول–ﷺ– لا يصيب العدو منهم غرة، حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا فى طلب العدو: لستم بأحق بها منا، نحن نفينا عنها العدو وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله–ﷺ–: لستم بأحق بها منا نحن أحدقنا برسول الله–ﷺ– وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به فنزلت **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾**. فقسمها رسول الله–ﷺ– على فوارق بين المسلمين(١).

٤– روى أبوداود فى سننه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله–ﷺ– يوم بدر: "من فعل كذا وكذا فله من النقل كذا وكذا" قال: فتقدم الفتيان ولزم الشيوخ الرايات فلم يبرحوها، فلما فتح الله عليهم قال المشيخة: كنا ردءاً لكم، لو انهزمتم لفئتم(٢) إلينا، فلا تذهبوا بالمغنم ونبقى، فأبى الفتيان، وقالوا جعله رسول الله–ﷺ– لنا فأنزل الله: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ﴾**(٣).

هذه جل روايات سبب نزول أول سورة الأنفال، ووضح منها أن الصحابة تطلعوا إلى ما غنموا وأفاء الله عليهم به، لكن الله تعالى رد الأمر إليه سبحانه وإلى رسوله–ﷺ– فى شأن تقسيمها.

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/٢٨٣ والمسند ٥/٣٢٤.

(٢) رجعتم.

(٣) سنن أبى داود رقم ٢٧٣٧ كتاب الجهاد.

ولا خلاف فى أن السائلين هم الصحابة- وإن لم يكن لهم ذكر فى الآية- لأنه فى حالة النزول كان السائل عن هذا السؤال معلوماً معيناً، فانصرف اللفظ إليهم.. ولا شك أنهم كان لهم تعلق بالغنائم والأنفال، وهم الذين اشتركوا فى غزوة بدر(١).

وجاء التعبير بصيغة المضارع "يسألونك" ليدل على تكرار السؤال بالإعادة أو بكثرة السائلين عن ذلك حين المحاورة فى موقف واحد.. والمعنى يسألونك معرفة الأنفال- أى حكمها-(٢).

والنفل: الزيادة مطلقاً، وهى الزيادة على الواجب.. وسميت الغنيمة نافلة لأنها زيادة فيما أحل الله تعالى لهذه الأمة مما كان محرماً على غيرها.. وهى خصوصية لرسول الله-ﷺ- وواحدة من فضائله.

وصار النفل حقيقة فى العطية لكونها تبرعاً غير لازم كأنها زيادة.. وإطلاق النفل على الغنيمة باعتبار أنها زيادة على ما شرع الجهاد له وهو إعلاء كلمة الله، أو باعتبار أنها زيادة خص الله بها هذه الأمة، أو باعتبار أنها منحة من الله تعالى.. والأنفال هى الغنائم كما روى ابن عباس ومجاهد وغيرهما(٣).

وفى قراءة ابن مسعود وأبى بن كعب- وغيرهما- "يسألونك الأنفال" بحذف عن.. وقراءة إثبات "عن" أى لمن هى؟ أو عن حكم الأنفال؟(٤).

وعلى هذا يكون المعنى بحذف "عن" يسألونك الأنفال ذاتها وهو ما غنموه. وبإثباتها يكون السؤال عن حكمها لأنها كانت حراماً على الأمم السابقة.

---

(١) التفسير الكبير ١١٣/١٥.

(٢) انظر التحرير والتنوير ٢٤٨/٤.

(٣) انظر روح المعانى ١٦٠/٩.

(٤) انظر زاد المسير ٣١٨/٣.

وكان الجواب "قل الأنفال لله والرسول" أى الحكم فيها لله ورسوله يحكمان فيها ما أرادا.

"فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين".

وهذا القول الكريم يرفع النزاع بين المختلفين فى استحقاق الغنائم، أو فى طلب التنفيل، فما حكم بأنها ملك لله ورسوله، أو أن أمر قسمتها موكول لله ورسوله، فقد وقع ذلك على كراهة بعض منهم ممن كانوا يحسبون أنهم أحق بتلك الأنفال ممن أعطيها.. وذلك تبعاً لما ألفوه فى السالف فى الجاهلية، فذكرهم بأنه يجب الرضا والتسليم بما قسمه الرسول–ﷺ– منها.

وجاء عطف الأمر بإصلاح ذات البين لأنهم اختصموا واشتجروا فى شأنها..

والإصلاح: جعل الشىء صالحاً، وهو مؤذن بأنه كان غير صالح، فالأمر بالإصلاح دل على أنه كان ثم فساد بينهم، وهو فساد التنازع والتظالم فى شأن الأنفال(١).

"وذات بينكم" حقيقة وصلكم، والبين: الوصل.. والمراد ترك المنازعة تسليماً لله تعالى ورسوله–ﷺ–.

"وأطيعوا الله ورسوله" اقبلوا ما أمرتم به فى الغنائم وغيرها(٢).

ويأتى ختام الآية "إن كنتم مؤمنين" فشرط الإيمان الحق اتباع ما تقدم، من تقوى الله وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله..

وهكذا رفعت الآية الكريمة النزاع حول الغنائم.. وطابت الأنفس بحكم الله ورسوله، حين أوكل الحق سبحانه أمر الأنفال فى بيان حكمها أو فى تقسيمها لله ورسوله.

---

(١) انظر التحرير والتنوير ٩/٢٥٢.

(٢) زاد المسير ٣/٣٢٠.

* وقد بين القرآن المجيد مصارف الغنائم وكيف توزع. فى قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

والغنيمة فى اللغة ما يناله الرجل أو الجماعة بسعى، ومن ذلك قول الشاعر:

وقد طوفت فى الآفاق حتى ∴ رضيت من الغنيمة بالإياب(٢)

وثم اتفاق حاصل على أن المراد بقوله تعالى "غنمتم من شىء" مال الكفار إذا ظفر به المسلمون على وجه الغلبة والقهر..

والواصل من الكفار إلى المسلمين من أموال سماه الشرع باسمين: الغنيمة والفئ..

فما يحصل عليه المسلمون من عدوهم بالسعى وإيجاف الخيل والركاب يسمى غنيمة، ولزم هذا الاسم هذا المعنى حتى صار عرفا.

والفئ: مأخوذ من فاء يفئ إذا رجع، وهو كل مال ناله المسلمون من غير حرب ولا إيجاف خيل(٣).

وقيل: الغنيمة ما أخذ عنوة، والفئ ما أخذ عن صلح.. وقيل: هما واحد كل ما نيل من المشركين.

قال الزجاج: الأموال ثلاثة أصناف:

١- ما صار إلى المسلمين من المشركين فى حال الحرب، فقد سماه الله تعالى أنفالاً وغنائم.

---

(١) الآية ٤١ سورة الأنفال.

(٢) البيت لامرىء القيس كذا نسبه أبو حيان فى البحر ١٢٧/٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١/٨.

٢- ما صار من المشركين من خراج أو جزية مما لم يؤخذ فى الحرب، فقد سماه الله فيئاً.

٣- ما خرج من أموال المسلمين كالزكاة والنذر والقرب، سماه الله صدقة[١].

* والآية الكريمة بيان وتفصيل لما جاء مجملاً فى أول سورة الأنفال "يسألونك عن الأنفال" حيث وضحت مصادر الأنفال ومن يأخذها!!

ومعناها: اعلموا أن ما أخذتموه من الكفار قهراً "فأن لله خمسه" فهو الذى منَّ بالنصر، شكراً له عن هذه النعمة "وللرسول" الذى هو سبب هدايتكم "ولذى القربى" ولأصحاب القرابة من رسول الله-ﷺ- والمراد بهم بنو هاشم وبنو عبدالمطلب..[٢].

وقيل: إن نصيب الله يصرف إلى بيته، قال أبوالعالية: كان يجاء بالغنيمة فيقسمها رسول الله-ﷺ- على خمسة أسهم، فيقسم أربعة على الناس، ثم يجعل السهم الخامس للكعبة..

وذكر الله تعالى هنا لأحد وجهين:

الأول: لأنه المتحكم فيه والمالك له، والمعنى: فإن للرسول خمسه ولذى القربى، كقوله تعالى "يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول".

الثانى: أن يكون المعنى: إن الخمس مصروف فى وجوه القرب إلى الله تعالى، وهذا قول الجمهور، فعلى هذا تكون الواو زائدة كقوله ﴿**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَادَيْنَاهُ**﴾[٣]. أى ناديناه[٤].

وبقية الأصناف هم:

---

(١) زاد المسير ٣٥٨/٣.

(٢) التفسير الكبير ١٦٥/١٥.

(٣) الآية ١٠٣ سورة الصافات.

(٤) زاد المسير ٣٥٩/٣.

اليتامى: وهو الصغير الذى مات أبوه.

والمساكين: من لا شىء له فيحتاج لسد حاجته.

وابن السبيل: المسافر الذى فقد ماله فى طريق سفر.

وتختم الآية الكريمة بعد بيان مستحقى الغنائم بقوله سبحانه ﴿**إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾.

والمخاطب بذلك هم المؤمنون.. حثاً لهم على الطاعة، وإظهاراً لفضل الله تعالى عليهم يوم بدر، وما أفاء عليهم من آلاء عظام.

ويوم الفرقان هو يوم بدر، حيث فرق الله فيه بين الحق والباطل، وأعز جنده وأيدهم بنصره، ودحر أعداءه.. ولم تغن عنهم قوتهم وعتادهم.

****

****

*****

**

المصادر

* **القرآن المجيد:**

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. لأبى السعود العمارى ط دار إحياء التراث العربى.

٢. أسباب النزول لأبى الحسين على بن أحمد الواحدى ط الثانية ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٣. التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشرو ط الدار التوفيقية.

٤. تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير ط دار إحياء الكتب العربية.

٥. التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازى د دار إحياء الكتب العربية.

٦. تفسير القرآن الحكيم "المنار" محمد رشيد رضا ط دار المعرفة.

٧. تفسير المراغى. أحمد مصطفى المراغى ط الثانية ١٣٩٤ دار الفكر.

٨. جامع البيان فى تأويل آى القرآن للإمام ابن جرير الطبرى ط البابلى الحلبى ١٣٨٨.

٩. الجامع لأحكام القرآن- للإمام القرطبى ط الثانية- دار الكتب.

١٠. الدر المنثور فى التفسير بالمأثور. جلال الدين السيوطى ط دار الفكر ١٤٠٣.

١١. روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى: محمود الألوسى، دار إحياء التراث العربى.

١٢. زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم الجوزية. مطبعة الأنوار المحمدية.

١٣. زاد المسير فى علم التفسير لأبى الفرج بن الجوزى ط الثانية المكتب الإسلامى.

١٤. السيرة النبوية للإمام ابن كثير دار المعرفة.

١٥. السيرة النبوية فى ضوء الكتاب والسنة للدكتور محمد أبوشهبه مطبعة القاهرة الحديثة.
١٦. صحيح البخارى للإمام البخارى ط داء إحياء التراث العربى.
١٧. صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج ط دار إحياء التراث العربى تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقى.
١٨. فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية فى التفسير.. محمد بن على الشوكانى مطبعة البابلى الحلبى.
١٩. الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية "سليمان الجمل" دار إحياء التراث العربى.
٢٠. فى ظلال القرآن- سيد قطب ط الثانية دار الشروق.
٢١. محمد رسول الله-ﷺ- للشيخ محمد الصادق عرجون ط الأولى دار القلم.
٢٢. مفردات القرآن للراغب الأصفهانى ط دار المعرفة.
٢٣. المواهب اللدنية للقسطلانى ط دار الكتب العلمية.

الفهرس

الموضـــــــــوع	الصفحة
المقدمـــة	٣
تمهيد	٤
مقدمات غزوة بدر	٧
خروج المشركين من مكة	١٣
تزيين الشيطان لأعمال المشركين	١٥
موقف المشركين حين قدموا بدراً	١٨
مكان المؤمنين ومكان المشركين	٢٠
كيف بدأت الغزوة	٢٥
تأييد الله للنبى والمؤمنين	٢٧
•الإمداد بالملائكة	٢٧
•إلقاء النعاس على المؤمنين وإنزال المطر.....	٣٤
•تقليل عدد الأعداء فى عيون المؤمنين	٣٧
نصر الله تعالى للمؤمنين	٣٩
سيهزم الجمع ويولون الدبر	٤٢
أسرى بدر.....	٤٤
غنائم بدر.....	٥٠
•**المصادر**.....	٥٧
•**فهرس الموضوعات**	٥٩